المحاضرة الاولى / مادة الجغرافيا البشرية /المرحلة الاولى / قسم الجغرافيا

اعداد: م.د. خلف عمر

مفهوم الجغرافية البشرية:

تشكل الجغرافية البشرية موقعاً متميزاً بين أقسام الجغرافيا وتشتمل على موضوعات عديدة منها: جغرافية الزراعة – الصناعة – النقل – السكان – التجارة – السياسة – الجغرافية الحضارية والريفية وغيرها.

وفروع الجغرافية البشرية تتصف بالجيدة والأصالة والتطور، نظراً لأنها تعالج موضوعات حديثة بالإنسان وتفاعلاته مع البيئة وموضوعات أخرى تتعلق بالإنسان والإنسان الآخر من جهة غير الزمان والمكان. وذلك لأن الإنسان يعتبر أكثر الكائنات الحية قدرة على التكيف مع ما حوله. وعلى تشكيل بيئته التي يعيش فيها. وذلك بما حباه الله تعالى من قدرة العقل والتفكير والتخطيط ومسايرة التطورات المادية والفكرية والثقافية.

التطور التاريخي للجغرافية البشرية:

أن محور الجغرافية البشرية يدور حول علاقة الإنسان بالبيئة التي تحيط به ولهذا يمكن إرجاع تأريخ بداية العلاقة بين الإنسان وبيئته إلى المرحلة الأولى والتي بدأ فيها الإنسان لأول مرة التأمل بوعي وإدراك للظاهرات التي تحيط به. مستكشفاً إمكانيات البيئة التي يعيش بداخلها وساعياً للملاءمة بين متطلبات حياته والمكان الذي يعيش فيه وهذا يعني أن التفكير الجغرافي البدائي متزامن مع تأريخ الفكر الإنساني عموماً والذي مساهم في ظهور الحضارات الإنسانية القديمة.

إن الفكر الجغرافي قديماً في بلاد ما بين النهرين وفي دلتا النيل بمصر وفي انهار الصين قد ارتبط بالزراعة في الأراضي الفيضية مما يساعد على قيام حياة مستقرة على ضفاف ودلتاوات الأنهار. إلاَّ أن معرفة الإنسان بالعالم الخارجي كانت محدودة للغاية ومع بداية القرن الرابع الميلادي بدأ الإغريق في بسط نفوذهم الحضاري على أجزاء لم تكن معروفة من قبل مما ساعد على زيادة المعلومات الجغرافية عن أجزاء من الرقعة المعمورة من الكرة الأرضية.

هذا وعلى الرغم من المحاولات التي قام بها الفلاسفة الإغريق والرومان بغرض التعرف على الكون وطبيعته إلاَّ أنهم فشلوا في تحديد المفهوم الحقيقي للجغرافيا وبمعنى آخر لم يتمكنوا من تأطير العلاقة بين الجانب الطبيعي والبشري للبيئة.

أقسام الجغرافية البشرية:

أمّا الجغرافيا البشرية فتتناول دراسة توزيع المجتمعات البشرية، ومدى التأثير المتبادل بينها وبين بيئاتها الطبيعية، والصور الاجتماعية الناجمة عن تفاعل الإنسان مع بيئته المحلية مثل توزيع السكان وأنماط العمران حضرياً كان أم ريفياً، كما تشمل دراسة النشاط البشري ومؤثراته والتركيب السياسي بوصفة ظاهرة جغرافية تمثل رُقعاً من سطح الأرض لها حدودها الاصطناعية، وإمكانياتها الاقتصادية والبشرية وما يترتب على ذلك من مشكلات يوجهها ويؤثر فيها، بالضرورة، الظروف الجغرافية السائدة على المستويين الإقليمي والعالمي. لجغرافيا البشرية تتحدد بدراستها لملامح التفاعل، وأوجه التباين والتشابه بين الأقاليم المختلفة في البيئات بعناصرها الطبيعية وموارد الثروة المعدنية بوصفها أساس وقاعدة لفهم العناصر الحضارية Cultural or Man - Made، المترتبة عليه والمترابطة معه داخل إطار بيئي محدد. وهي بذلك تؤكد مبدأ الارتباط Correlation، الذي يثمر في فهم العلاقات التأثيرية والتأثرية Cause - Effect Relationships، بين الإنسان وبيئته. ويصبح تعريف الجغرافيا البشرية بذلك أنها العلم، الذي يهتم بوصف وتحليل الأنماط المكانية للظاهرات الثابتة والمتغيرة ذات الأصل البشري على سطح الأرض.

اولا: جغرافية السكان:

تهتم بدراسة الظاهر الديموغرافية والاثنوجرافية للسكان فمن الناحية الديموغرافية يهتم هذا الفرع بدراسة المؤشرات العددية للسكان من حيث الزيادة والنقصان الناتجة عن معدلات الخصوبة والهجرات الداخلية والخارجية كما يهتم بدراسة التركيب والعوامل المؤثرة في ذلك والآثار الناتجة عنه.

أما من الناحية الاثنوجرافية فيهتم هذا الفرع بدراسة التركيب العرقي والعقائدي واللغوي والثقافي وللسكان. كما يهتم بدراسة التباين في العادات والتقاليد والمستويات الحضارية للشعوب، كذلك يدرس الفرع الكثافة السكانية بأنواعها المختلفة ومظاهر ارتباطها بالظروف الجغرافية وما ينتج عنها من آثار اقتصادية واجتماعية وسياسية وبيئية.

ثانياً:جغرافيةالاستيطان:

يهتم بأنماط الاستيطان البشري الريفي والحضري ويدرس المراكز الحضرية كظاهرة جغرافية يرتبط نموها وتطورها بالظروف الجغرافية الأخرى التي ترتبط بها. كالموقع ومظاهر السطح ونوعية المناخ والموارد الاقتصادية والنشاط البشري.

ويتفرع عن هذا الفرع ما يسمى بجغرافية المدن التي تهتم بدراسة المدينة كظاهرة جغرافية.

ثالثاً: الجغرافية الاقتصادية:

تتكون الجغرافية الاقتصادية من أفرع يغلب عليها الطابع الاقتصادي من حيث نوعية مجالات بحثها ومناهج دراستها وتهتم بدراسة أنماط سلوك الإنسان كما أنها تهتم بدراسة هذه الموارد كظواهر جغرافية من حيث تنوعها وكمها وكيفية الحصول عليها واستغلالها.

إن الجغرافية الاقتصادية تعتبر وليدة لسلوك الإنسان في تعامله مع البيئة التي يعيش فيها من جل الحصول على متطلباته الحياتية، وقد قسم بعض الجغرافيون سلوك الإنسان في استغلال موارده إلى ثلاثة مجموعات من أوجه أنشطته نوجزها فيما يلي:

سلوك الإنسان في استغلال الموارد:

١- الاستغلال غير المنتج للأرض كمورد ويقصد بذلك استغلال الأرض للسكن والطرق والمقابر والمتنزهات والمناطق المحجوزة.

٢- الاستغلال الاقتصادي وللمنتج بشقيه النباتي والحيواني كاستغلال الأرض للزراعة والرعي والإنتاج الغابي.

٣- الاستغلال الاقتصادي الجائر للموارد، كالإفراط في استغلال الأرض للزراعة والأرض الهامشية والرعي الجائر. مما يؤخذ على هذا النوع من التقسيم لسلوك الإنسان المرتبط باستغلال موارد بيئية إنه يرتكز على كثير من التعميم ويفتقر إلى الموضوعية وذلك لأن الذين نادوا به أمثال جون براون J. Brunes اعتبروا المباني والطرق وقطع الأشجار استغلال غير منتج للموارد مع أن مثل هذا السلوك قد تنتج عنه فوائد اقتصادية كثيرة.

وتنقسم الجغرافية الاقتصادية إلى فروع عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ/ الجغرافية الزراعية.

ب/ الجغرافية الصناعية.

ت/ الجغرافية التجارية.

ث/ جغرافية النقل والمواصلات.

رابعاً: الجغرافية السياسية:

تدرس الوحدات السياسية من حيث مقوماتها الجغرافية مراحل تطورها وتتصدى للكثير من الموضوعات ذات السمات الاقتصادية الاجتماعية السياسية والأمنية والاستراتيجية داخل الوحدة السياسية وعلى رأس هذه الموضوعات دراسة مفهوم الدولة والمواطنة والقومية والحدود السياسية وأنواعها ومراحل تخطيطها ووظائفها وفعاليتها ومشكلاتها وأسبابها ووسائل حلولها. ومن أهم مجالات الجغرافية السياسية أنها تبحث في أسباب المشكلات السياسية والنزعات المحلية والإقليمية والدولية على ضوء المرتكزات الجغرافية المختلفة.

خامساً: الجغرافية الاجتماعية:

تدرس المجتمع البشرى داخل الإقليم وهي تمزج الوظيفية والشكل الاجتماعي بحيث ينتج عنه ما يعرف بالإقليم الوظيفي وتتضمن دراسة توزيع الجماعات البشرية ونظام حياتها في بيئاتها المختلفة وتوزيع السكان وتوزيع العمران الريفي والحضري وأشكاله المختلفة.

وابسط تعريف للجغرافية الاجتماعية هو: "التعرف على الأقاليم المختلفة على سطح الأرض تبعاً لمجموعات مترابطة من الظاهرات الاجتماعية التي تنسب إلى مجموعة البيئة". وفي هذه الحالة تكون الجغرافية الاجتماعية فرعاً من فروع الجغرافية البشرية

التي تولي اهتمامها للتوزيعات والتكوينات الاجتماعية والوظائف والعمليات والمواءمة بين كل هذه مع البيئة ومواءمة البيئة لها.

تطور الجغرافية البشرية وميدان بحثها :

الجغرافية في العصور القديمة :

يدور محور الجغرافية حول دراسة الأنسان والبيئة والعلاقة بينهما ،حاول فيها الأنسان لأول مرة أن يتأمل بوعي وأدراك الظاهرات المحيطة به ،ليبحث عن أمكانيات البيئة التي يقطن فيها الملائمة بين حاجاته ومتطلبات حياته وطبيعة الموضع الذي يقيم فيه كما أن المجهودات التي قام بها الأنسان القديم في أولى الحضارات كما كان الحال في بلاد ما بين النهرين وفي مصر الفرعونية والصين ،أرتبط الفكر الجغرافي بالزراعة وانحسار الأراضي عقب الفيضانات وقيام حياة الاستقرار في بيئة سهلية.

أما في العصر الإغريقي ومع بداية القرن الرابع الميلادي زادت المعلومات عن الرقعة المعمورة نتيجة لنجاح الإغريق في بسط نفوذهم الحضاري والعسكري على أجزاء لم تكن معروفة من قبل فظهرة فكرة كروية الأرض – الفكرة السائدة عن شكل الأرض في نظر الإغريق الى أن جاء أرسطو وبرهن على صدقها ونادى بأن كسوف الشمس خير دليل على ذلك – وقد تمكن بعد ذلك بعض الفلاسفة الإغريق أمثال أراتوستين من دعم هذه الفكرة عن طريق الأرصاد الفلكية كما تمكن هيبار

خوس بواسطة دراسته للفلك وملاحظاته لطول النهار في مناطق مختلفة من أن يتوصل الى أيجاد مناطق عرضية أو نطاقات عرضية.

الجغرافيا في العصور الوسطى:

استخدمت الجغرافية لنشر تعاليم الكنيسة بواسطة رجال الدين من خلال اهتمامهم بمعرفة أصل وشكل الأرض وتحركات سكانها وقد ظهر ذلك في كتابات العصور الوسطى التي كانت تشتمل على فصول في الجغرافية تبحث في مظهر الكون وتركيبه العام.

اهتمام رجال الدين في العصور الوسطى بمعرفة أصل وشكل الأرض وتحركات سكانها جعلهم يجدون في الجغرافية وسيلة لنشر تعاليم الكنيسة وهكذا وجدنا أن كل

الكتابات التي ظهرت في إرساليات العصور الوسطى كانت تضم فصولاً عن الجغرافية أو الكوزموجرافيا وهي العلم الذي يبحث في مظهر الكون وتركيبة العام ويشمل علوم الجغرافية والفلك والجيولوجيا ،غير أن الكوزموجرافيا في ذلك الوقت كانت ذات معاني مختلفة بالنسبة لمختلف الباحثين ،ففي نظر البعض كانت تعتمد أساساً على وصف نشأة الأرض وانتشار الجنس البشري فوقها بينما يرى أخرون أنها دراسة لظاهرات الطقس والمناخ والغابات والحيوان والأحجار النادرة بينما يرى فريق ثالث بدراسة الكوزموجرافيا تحت أسم التاريخ السياسي أما بالنسبة للفكر الجغرافي في العالم العربي في العصور الوسطى فقد أختلف في مضمونه ومنهجه عن الفكر في أوربا، ولم يتبع العرب في أبحاثهم كل ما ذكره الإغريق في مجال الفكر الجغرافي بل كان لديهم آرائهم الخاصة ذلك الى جانب أنهم فنشروا كثيراً من آراء بطليموس ، وقد أخذت المعرفة العربية تتطور بفعل عامل الرحلات الاستكشافية والتجارية حيث جمعوا بواسطتها الكثير عن عادات سكان البلدان وعن منتجاتها وذلك بغرض إدارة وحكم هذه البلدان ذلك بالإضافة الى حب المعرفة وعامل الدين وكل ذلك ساعد على ثراء التراث العربي، وقد حاول كثير من كتاب العرب بحث العلاقة بين البيئة والأنسان بل أن أبن حوقل الذي عاش في القرن العاشر الميلادي (١٠م) والف كتاب المسالك والممالك يعتبر من أوائل الحتميين الذين استطاعوا الربط بين المناخ وغيره من الظاهرات الجغرافية، فقد قسم العالم المعروف لديه الى قسمين أحدهما شمالي وأخر جنوبي وجعل الخط الفاصل بينهما ((يمتد من غرب أفريقيا الى مصر ومن الخليج العربي الى هندستان وأواسط أقليم الإسلام في أسيا)).

العرب والجغرافية:

لم يكتف العلماء الجغرافيون العرب القدامى بوصف ما شاهدوه عبر أسفارهم؛ بل عكفوا على بحث العلاقة بين الإنسان وبيئته وظهر من بينهم العديد من العلماء الذين أثروا الفكر الجغرافي حيث نستعرض مجهودات بعضهم:

ابن حوقل:

قد ألف كتاب المسالك والمماليك الذي ربط بين المناخ وغيره من الظاهرات الجغرافية الطبيعية وبين نشاطات وسلوكيات الإنسان.

الإدريسي:

إذ انه يمثل نقطة التلاقي بين الحضارتين الإسلامية والمسيحيين وأن الأدب الجغرافي الذي ساد بعده كان قاصراً على ادب الرحلات ولم يتصف بالأصالة.

ابن خلدون:

اشتهر خلال القرن الرابع عشر ويعتبر من أعظم العلماء الجغرافيين والمؤرخين العرب بهذه يشهد له بذلك كتابه الشهير المسمى: " كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"

وأكثر ما تميز به بن خلدون تفسيره للتأريخ استناداً على الأوضاع الاقتصادية للمجتمع البشري في صورته البدوية والحضرية. واشتهر ابن خلدون بتقسيمه للعالم المعمور إلى سبعة أقاليم كل إقليم إلى عشرة أقسام صغيرة.

إن أفكار ابن خلدون تميزت بالحداثة والأصالة ولم تظهر في أوربا إلاَّ بعد مضي عدة قرون. وتميز ابن خلدون بتمعنه وفحصه الدقيق. وتحليله لأثر الإقليم والوسط الجغرافي على حياة البشر وهو بهذا يعتبر من رواد نظرية الحتم الجغرافي. والتي ظهرت في اوروبا